Theories and criticism in Arabic literature
The Five Year, Issue ١٧, ٢٠٢٦
Pp ٨١-٩٨

Research Paper
DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/jral.٢٠٢٦,٥٦٧٣١٤,١٠٩١

Legitimization and Delegitimization in Hassan Toufiq's Poems Based on Van Leeuwen's Theory

Shahrzad Amirsoleymani [١]

(Received:٢٠٢٥/١٢/٠٥, Accepted: ٢٠٢٦/٠٢/٢١)

Abstract

Critical discourse analysis attempts to uncover hidden thoughts and ideologies in discourse. Van Leeuwen, as one of the theorists of critical discourse analysis, has proposed the theory of social actors and through it tries to legitimize or delegitimize some of the actions and behaviors that social actors perform. In the legitimation or delegitimization model, the critic attempts to discover the techniques that the discourse producer uses to legitimize and delegitimize, as well as to discover the issues that have been legitimized or delegitimized. This research was conducted using an analytical-descriptive method and relying on van Leeuwen's theory of legitimation and delegitimization, which is based on several techniques: authorization, justification, mythopoesis, and evaluation. This research aims to examine the techniques of legitimation and delegitimization in the discourse of Hassan Toufiq, a poet who has made poetry a platform for defending issues such as resistance and martyrdom. This research also shows that poetry is not limited to its aesthetic function, but rather goes beyond its aesthetic boundaries to play its social role in delegitimizing oppressors and those in power. This discussion has reached the conclusion that in his discourse, the poet has legitimized issues such as justice, freedom, equality, awakening, self-sacrifice, the quest for martyrdom, and the hope of victory, and has delegitimized issues such as political and economic corruption, and silence in the face of oppression. Accordingly, the poet has used numerous techniques in his poetry, such as role models or patterns, mythopoesis, prediction, definition, explanation, moral evaluation, Analogies, Effect-oriental, and goal-oriental techniques..

Keywords: Discourse analysis, van Leeuwen, legitimation, Hasan Toufiq. delegitimization,

[١].Phd in Arabic Language and Literature. Allameh Tabatabai University, Tehran, Iran. Email:shahrzad.soleyman@yahoo.com(Corresponding Author).

© The Author(s). Publisher: Kosar University

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ١٧، ربيع ١٤٠٤
صص٩٨-٨١

مقاله بحثيه

DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/jral.٢٠٢٦,٥٦٧٣١٤,١٠٩١

إضفاء الشرعنة ونزع الشرعنة في أشعار حسن توفيق على ضوء نظرية فان ليوين

شهرزاد اميرسليماني [١]

(تاريخ الوصول: ١٤٠٤/٠٩/٢٩، تاريخ القبول: ١٤٠٤/١٢/٠١)

المخلص

يسعى تحليل الخطاب النقدي إلى الكشف عن الأفكار والأيديولوجيات الكامنة خلف الخطاب. إنّ فان ليوين كأحد منظّري تحليل الخطاب النقدي قد طرح نظرية الفاعلين الاجتماعيين وسعى من خلالها إلى إضفاء الشرعنة إلى بعض الأفعال والممارسات التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون أو نزع الشرعنة عنها. في نمط إضفاء الشرعنة إلى قضية ما أو نزع الشرعنة عنها، يسعى الناقد إلى الكشف عن تقنيات يوظفها منتج الخطاب لإضفاء الشرعنة أو لنزعها كما يوضّح القضايا التي تمّ إضفاء الشرعنة عليها والتي تمّ نزع الشرعنة عنها. قد تمّ إجراء هذا البحث باستخدام المنهج الوصفي _التحليلي مع الاعتماد على نظرية الشرعنة ونزع الشرعنة لفان ليوين. فهي ترتكز على أربع تقنيات رئيسية تضمّ التفويض والتسويغ والتحويل الحكائي والتقييم. يهدف هذا البحث من خلال هذه النظرية إلى دراسة تقنيات الشرعنة ونزع الشرعنة في شعر حسن توفيق الذي قد جعل الشعر منبرا للدفاع عن قضايا المقاومة والشهادة، كما يسلّط هذا البحث الضوءَ على أنّ الشعر لا يكتفي بالوظيفة الجمالية، بل يتجاوز حدوده الجمالية ليمارس دوره الاجتماعي في نزع الشرعنة عن قوى القمع والسلطة. توصّل هذا البحث إلى أنّ الشاعر في خطابه قد أضفى الشرعنة إلى مفاهيم مثل العدالة والمساواة والحرية والتضحية وطلب الشهادة والأمل بالنصر واليقظة، كما قام بنزع الشرعنة عن قضايا مثل الفساد السياسي والاقتصادي والصمت أمام الظلم. من هذا المنطلق استخدم الشاعر في شعره تقنيات متعددة مثل القدوة والتحويل الحكائي والتعريف والتبيين والتنبؤ والموجه نحو الأثر والموجه نحو الهدف والتقييم.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب، فان ليوين، إضفاء الشرعنة، نزع الشرعنة، حسن توفيق.

[١] . دكتوراه اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات الأجنبية، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، ايران. (الكاتبة المسؤولة) البريد الإلكتروني: shahrzad.soleyman@yahoo.com

حقوق مؤلف: نويسنده **ناشر:** جامعة كوثر

۱.مقدمة

إنّ تحليل الخطاب النقدي هو نهج بحثي يهدف إلى دراسة العلاقة بين اللغة، القوة، والمجتمع. يركّز هذا التحليل على فهم وتفسير القوى الاجتماعية والسياسية التي تكمن وراء الخطابات. يفحص تحليل الخطاب النقدي الطرق التي يتم بها بناء المعاني وتوزيع القوة وتأثير الأيديولوجيات على المجتمع من خلال النصوص والخطابات المتداولة في وسائل الإعلام، التعليم، السياسة وغيرها من السياقات الاجتماعية. ويعدّ فان ليوين من أبرز منظّري تحليل الخطاب النقدي؛ فإنّه أسهم في تطوّر هذا الحقل بالتأكيد على نمطَ "تمثيل الفاعلين الاجتماعيين والأفعال وردود الأفعال الاجتماعية" بهدف تحليل الكيفية التي يُمثَّل بها الأفراد والجماعات ومختلف الأفعال داخل الخطاب. وانطلاقا من هذا الأساس النظري، اقترح فان ليوين إطارا منهجيا لدراسة تقنيات إضفاء الشرعنة ونزعها عن الأفعال والفاعلين والغايات في مختلف النصوص التي تُسهم في تشكيل الوعي الجمعي وإعادة إنتاج الأيديولوجيا.

تمّ اختيار حسن توفيق[1] موضوعا للدراسة كأبرز الأصوات الأدبية التي قد واجهت الظلم والطغيان في عصره، فإنّه جَمعَ في نتاجه الأدبي بين الالتزام الوطني والجرأة في مواجهة السلطة الحاكمة. لقد شكّل شعره وثيقة أدبية تعبّر عن وعي جمعي يسعى إلى التحرّر من القمع والاستبداد، ودعوة صريحة إلى مقاومة الظلم والتمسّك بالحرية كقيمة إنسانية عليا.كما تتجلّى في تجربته الشعرية رؤية فكرية تتجاوز حدود الزمان والمكان حيث لم يكتف برفض الواقع السياسي الداخلي بل وسّع أفق نضاله ليشمل قضايا الأمة الكبرى وفي مقدمتها استعادة الأراضي المحتلة والدفاع عن الكرامة العربية. ومن ثمّ فإنّ دراسة شعره تمثّل مدخلا مهما لفهم العلاقة بين الإبداع الأدبي والوعي الثوري في السياق المصري والعربي المعاصر. يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعدّ من أهم المناهج العلمية في دراسة الظواهر الأدبية والفكرية، لما يتميّز به من قدرة على الجمع بين الوصف الدقيق للنصوص وتحليلها تحليلا عميقا يكشف أبعادها الدلالية والفكرية. كما أنّ هذا البحث في إطاره النظري يستند إلى نظرية فان ليوين في إضفاء الشرعنة أو نزع الشرعنة للكشف عن تقنيات يوظّفها حسن توفيق لإضفاء الشرعنة إلى أفكار أو مواقف معينة أو نزع الشرعنة عنها.

۱ـ۱أسئلة البحث

قد استهدفت هذه الدراسة، الإجابة عن الأسئلة التالية:

۱ـ ما هي التقنيات التي قد وظّفها حسن توفيق لإضفاء الشرعنة أو نزع الشرعنة في شعره وفقا لنظرية فان ليوين؟

۲ـ ما هي أهم القضايا التي قد قام حسن توفيق بإضفاء الشرعنة إليها أو نزع الشرعنة عنها في شعره وفقا لنظرية فان ليوين؟

۲ـ۱.خلفية البحث

هناک دراسات ومقالات قد صُنّفت باللغة الفارسية وباللغة العربية على أساس نظرية فان ليوين. أمّا المقالات التي قد كُتبت باللغة الفارسية في هذا المجال فهي على النحو التالي:

_مقالة «تحليل انتقادى گفتمان مدار براساس الگوى ون ليوون "داستان حضرت موسى در سوره طه به عنوان نمونه" لعزت ملا ابراهيمي وآخرين.(١٤٠٣ه.ش)

_تشير نتائج البحث إلى أنّ نمط فان ليوين يتمتّع بفاعلية في تحليل النظام الخطابي لقصة النبي موسى (ع) في هذه السورة. كما أنّ مكونات الإظهار قد انعكست بفاعلية أكبر مقارنة بمكونات الحذف، ويتوافق هذا الأمر مع أهداف الخطاب؛ إذ إنّ التمثيل الصريح للفاعلين الاجتماعيين يُسهّل على المتلقي استخلاص المواعظ.

_مقالة «شيوه هاى تصويرسازى كارگزاران اجتماعى در داستان بهمن از شاهنامه وبهمن نامه براساس مولفه هاى جامعه شناختى _معنائى در تحليل گفتمان»(طرق تصوير الفاعلين الاجتماعيين في رواية بهمن من شاهنامه وبهمن نامه بناءً على المكونات الاجتماعية الدلالية في تحليل الخطاب) لليلا حق برست(١٣٩١ه.ش).

اهتمت ليلا حق پرست في مقالتها بالمقارنة بين طريقة التمثيل للفاعلين الاجتماعيين في كتابَى «شاهنامه» و«بهمن نامه». فوصلت الدراسة إلى هذا الاستنتاج أن يتمّ استخدام مكونات التصنيف والتفكك والتسمية في كلى الخطابين.كذلك أظهر تحليل النصين أنّ بهمن في "بهمن نامه" بما أنّه يمتلك السلطة الكاملة، لم يكن في حاجة إلى أساليب إقناعية، ولذلك استخدم بدرجة أقلّ المكونات الاجتماعية والدلالية. لكنّه في "شاهنامه" كان في سعى لكسب المشروعية، ولتحقيق ذلك قد وظّف المكونات الاجتماعية والدلالية أكثر.

أمّا المقالات العربية التي خُصّصت لنظرية فان ليوين فهي على النحو التالي:

_مقالة «دراسة سيميولوجية اجتماعية لصور الكتب العربية للمرحلة الثانوية الأولى في المدارس الإيرانية تركيزا على نظرية كريس وفان ليوين»لبهنام آقائى نجاد،مريم جلائى،روح الله صيادى نجاد(١٤٠١ه.ش).

تتم معالجة الصور في هذه الدراسة على أساس نظرية السيميولوجيا الاجتماعية لكريس وفان ليوين من حيث الوظيفتين التمثيلية والعلاقية وأيضا تُعالج علاقتها وملاءمتها للنص من حيث الوظيفة التركيبية. توصّل الباحثون إلى هذه النتيجة أنّ الأنماط البصرية المستخدمة للصور هي سردية ومفاهيمية. وأنّ تحليل الصور على مستوى الوظيفة العلاقية يشير إلى أنّ معظم الصور تكون في حالة العرض والتحليل وهي تُعرَض للمُشاهد كمصدر للمعلومات وموضوع للتفكير.كما أنّ زاوية النظر لمعظم الصور كانت في الوجهة الأمامية وعلى نفس مستوى العين. فلم يجد الباحثون في معظم الصور التماسك والانسجام التام بينها وبين النصوص على مستوى الوظيفة التركيبية وهي الاتساق بين النص والصورة.

_مقالة«عملية إضفاء الشرعنة ونزع الشرعنة في روايتَي"أيام الخوف" و"الخلاص" لخليل حسن خليل» لشهرزاد اميرسليمانى ورجاء أبوعلي(١٤٠٤ه.ش)

أسفرت هذه الدراسة عن أنّ تقنيات التفويض التخصصي والقدوة والتقليد والتقييم الأخلاقي والقياس وتقنية الموجه نحو الأثر والتحويل الحكايي تؤدّي دورا بارزا في إضفاء الشرعنة إلى قضية ما أو في نزعها عنها داخل هذا الخطاب. كما يظهر البحث أنّ خليل حسن خليل بتوظيف هذه التقنيات قام بإضفاء الشرعنة على قيم مثل الحرية، والعدالة، والمساواة، والإقدام في حين ينزع الشرعنة عن قضايا مثل الاستغلال، والاستثمار، والنظام الرأسمالي، والخوف من أصحاب السلطة.

مقالة «تحليل الخطاب النقدي لقصيدة "الرحيل إلى مدن العشق للبياتي"على ضوء نظرية فان ليوين» لرجاء أبوعلي وشهرزاد اميرسليماني(١٤٠٢ه.ش).

أوضحت نتائج الدراسة أنّ البياتي في قصيدته قد اعتنى بالمكونات السيميائية الاجتماعية المرتكزة على الاحتواء في المقارنة مع المكونات السيميائية الاجتماعية المرتكزة على الاستبعاد لتبيين أيديولوجيته ولإقناع مخاطبيه. كما أنّها كشفت عن أنّ مكوّنة التسمية من أنواع الإظهار هي أكثر تكرارا في هذا الخطاب بالنسبة إلى سائر المكوّنات. أمّا بالنسبة إلى إضفاء الشرعنة وعدم إضفاء الشرعنة فتبيّن أنّ البياتي قد حاول أن ينزع الشرعنة عن قضايا مثل الركاكة، والنفي، والقتل، والتخلّف وغير ذلك بينما أقبل إلى إضفاء الشرعنة إلى قضايا كالحرية، والانبعاث، والتمرّد على الظالمين وغير ذلك.

مقالة «تمثيل الفاعلين الاجتماعيين في "ثلاثية الوسية" لخليل حسن خليل وفقا لنمط فان ليوين» لرجاء أبوعلي وآخرين(١٤٠٤ه.ش)

قد هدف هذا البحث إلى أنّ تمثيل الفاعلين الاجتماعيين كيف كان في الروايات الثلاثة لخليل حسن خليل، كان تمثيلهم بشكل صريح أو بشكل ضمني؟ فيبيّن هذا البحث أنّ تصوير الفاعلين الاجتماعيين كان بطريقة الاحتواء التي تحتوي على المكونات الصريحة مثل التنشيط، والتسمية، والتلقيب، والإرجاع المعين، والتهجين، والتفكّك.

بالنسبة للشاعر حسن توفيق، فمراجعة الأدبيات السابقة والبحوث المتاحة، بحسب ما توصّلت إليه الباحثة تشير إلى أنّه لم يُنجَز أىّ بحث علمي مستقل يتناول هذا الشاعر تناولا مباشرا ومتكاملا. من هذا المنطلق، تُعدّ هذه الدراسة أول محاولة بحثية قد اختصت بهذا الأديب العربي الكبير بينما تسعى إلى سدّ الفراغ القائم في حقل الدراسات المتعلقة به.

٢. الإطار النظري للبحث

إنّ الشرعنة تتصل بفعل الخطاب الذي يلجأ إليه الإنسان لتبرير سلوكه، إذ يقتضي هذا الفعل وجود وضع يفرض على المتكلم أن يوضح الأسباب الوجيهة أو الدوافع المشروعة أو المبررات المقبولة التي جعلته يُقدم على تصرّف ما قام به في الماضي أو يقوم به في الحاضر، وهو التصرّف الذي تعرّض أو قد يتعرّض للنقد من الآخرين.(فان ديجك، ١٩٩٧م: ٢٥٦)

«في تحليل الخطاب يمكن استعمالُ مفهوم إضفاء المشروعية لنشير إلى أنّ الذات المتكلمة تدخل في مسار خطاب يجب أن ينتهي بالاعتراف لها بالحق في الكلام ومشروعية أن تقول ما تقول. وهذه المشروعية يمكن أن تأتيها إمّا من وضع حاصل(كما هو الحال في محادثة ودية يكون لكلّ متكلم فيها الحق،بمقتضى التحديد، في الكلام مع توفّر شروط متواضع عليها)أو من الوضع الذي تمنحه إياه مؤسسة ما(كما هو الحال عندما يتكلّم أستاذ في قسمه،أو تدلى شخصية سياسية بتصريح تلفزي). فاستراتيجيات المشروعية ترمي إلى تحديد موقع السلطة الذي يسمحُ للذات أن تأخذ الكلمة.»(شارودو،٢٠٠٢م:٣٢٩و٣٣٠)

«إنّ الشرعنة هي اعتراف واسع بشرعية التفسيرات والتبريرات التي يطرحها لفهم طبيعة الأشياء وكيفية حصولها.وعملية التبرير نصية في معظمها،علما أنّ درجة إظهار الشرعنة، أو تركها مستترة، تختلف إلى حد بعيد من نص إلى آخر.»(فاركلوف،

٢٠٠٩م:٤٠٤) وقد كتب هابرماس أنّ الشرعنة مسألة تفاوضية في المجتمعات باعتبار أنّ الناس يمنحون الدولة شرعيتها مقابل الحصول على استفادة معينة(الرفاهية).(بيكر؛ ايليج، ٢٠١٨م: ٦٧)

يرى ماكس فيبر أنّ كل نظام سلطوي يسعى إلى إنشاء شرعيته وتوسيعها.(weber,١٩٧٧:٣٢٥) أشار بيتر برغر وتوماس لوكمان إلى أنّ أساس كل لغة هو إضفاء الشرعنة. (Berger,Luckman,١٩٩٦:١١٢). أمّا فان ليوين فيفرّق بين أربعة أنماط أساسية للشرعنة. فإنّه يرى أنّها تُمثّل الطرق المختلفة التي يسعى من خلالها الإنسان أو المجتمع إلى إضفاء الشرعنة على الأفعال والمؤسسات والأفكار. وهذه الأنماط هي:١- التفويض٢-التسويغ٣-التحويل الحكايي٤-التقييم الأخلاقي.(فركلاف، ٢٠٠٩م:١٩٣-١٩٤)

٣. عملية إضفاء الشرعنة أو نزع الشرعنة في روايات حسن توفيق

١-٣. التسويغ النظري (theoretical):في التسويغ النظري لا تعتمد الشرعنة على أنّ ذلك الفعل، هادف أو مؤثر.(حياتي، ١٣٩٩ش:٢١٧) بل إنّ المعيار هو:هل يقوم ذلك الفعل في جوهره على الحقيقة أم لا؟يُطرَح التسويغ النظري في ثلاث صور أساسية: التعريف، التبيين، والتنبؤ.(طاهرخاني، ١٣٩٤ش:٧٩)

١-١-٣. التعريف(definition):يعدّ التعريف من الوسائل التي يعتمدها الخطاب لتبرير معانيه وتوضيح مقاصده. فيوضّح الخطاب مفهوم فعل ما انطلاقا من فعل آخر.(فان ليوين، ١٣٩٥ش: ٦٥٢) ينبغي أن يكون كلا الفعلين من الأفعال الشائعة والمتداولة في الاستعمال الموضوعي.

يعدّ توظيف صورة الموت في سبيل الحق بما هو بعث وحياة جديدة نموذجا واضحا لتقنية الشرعنة في تحليل الخطاب حسب نظرية فان ليوين المعروفة بتقنية التعريف. من هذا المنطلق، يقوم الشاعر بتعريف القتال والتضحية بالنفس لا باعتبارهما ممارسة عنيفة أو مجرد فعل صراع، بل باعتبارهما امتدادا لفعل آخر مشروع دينيا وأخلاقيا. وفق هذا المنطق تُمنح المقاومة بعدا أخلاقيا وروحيا، حيث تتحوّل من فعل مادي متعلق بالصراع السياسي إلى ممارسة تستمدّ شرعيتها من أفق ديني-قيمي. ومن ثمّ، فإنّ الشاعر عبر تقنية التعريف، لا يبرّر القتالَ فحسب، بل يرفعه إلى مستوى القداسة، مؤكّدا أنّ التضحية بالنفس في سبيل الحق ليست نهاية بل ولادة ثانية:

فالموت في الحق بعث(توفيق، ١٩٩٩م: ٣٩١)

يبرّر الشاعر في خطابه موقفا حاسما من الصمت إزاء الظلم، حيث يراه معادلا للخنوع والذلة. وفقا لنظرية فان ليوين، يمكن القول إنّ الشاعر يوظّف تقنية التعريف لا بوصفها أداة لإضفاء الشرعنة، بل بوصفها أداة لنزع الشرعنة. ففي هذا السياق، يعرّف الشاعر فعل الصمت أمام الظلم من خلال ربطه بفعل آخر غير أخلاقي ومرفوض اجتماعيا. بهذه التقنية، يجرّد الشاعر في هذا الخطاب الصمت من أي قيمة إيجابية محتملة محوّلا إيّاه إلى فعل مدان لا ينسجم مع القيم العليا للكرامة والدفاع عن الحق:

الصمت مهين(المصدر نفسه، ١٩٩٩م: ٤١٥)

۲-۱-۳. التبیین (Explanation): إنّ الشكل الآخر من الشرعنة هو التبيين. في هذه التقنية، لا يكون التركيز على تعريف الفعل ذاته، بل على تحديد هوية الفاعلين الاجتماعيين. وهنا يكون الجواب عن سؤال لماذا يجب أن أفعل ذلك؟ هو أنّ أداء الفعل على هذا النحو ينسجم مع طبيعة الأفراد وهويتهم الاجتماعية. (van leewen,۲۰۰۷:۱۰۳-۱۰۵)

إنّ الشاعر يدعو إلى إقامة عالم تسوده العدالة والمساواة حيث لا يعاني أحد من الجوع أو الظلم بينما يُضفي الشرعنة إلى بناء عالم مثالي يروي ظمأ المحتاجين والمحرومين ويشبع حاجاتهم. فيبيّن حسن توفيق من خلال تقنية "التبيين"سبب إنشاء الجنة في الأرض، لأنّ إنشاء جنة اجتماعية تقوم على العدالة والمساواة هو الأنسب للناس في المجتمع ليكونوا متساوين في الحياة والموت. فإنّ الشاعر يقوم بإضفاء الشرعنة إلى العدالة الاجتماعية في المجتمع بينما يرى أنّ بناء مدينة فاضلة ومجتمع كالفردوس يؤدّي إلى أن يكون الناس متساوين في الدنيا من حيث التمتّع بالموارد الطبيعية كما هم متساوون عند الموت من حيث عدم أخذ أي مال من هذه الدنيا: «فلنشيد جنة في الأرض تسقي الظامئين/ باذرين الأرض قمحا جاعلين الناس إخوة/ ولنعمر جنة الأرض بإصرار وقوة/ يتساوى الناس في الميلاد والموت المهين» (توفيق، ۱۹۹۹م:٤٨٥)

يعتبر الشاعر الأمة العربية المسؤولة الأولى عن تحرير فلسطين ووقف معاناة القدس. ويرى أنّ الفعل المطلوب من الأمة هو اليقظة والعمل من أجل تحرير الأرض مبيّنا أنّ التراخي والسكوت تجاه ألم تعاني منه فلسطين سبّب استمرارَ معاناتها. بناء على ذلك، إنّ الشاعر لإضفاء الشرعنة إلى اليقظة ونزع الشرعنة عن التراخي والجمود، يطلب من الأمة العربية أن تنهض وتستيقظ من غفلتها، ويعلّل هذه النهضة واليقظة أنّ أرض بيت المقدس بحاجة إلى مساعدتها من أجل التخلّص من همومها، بينما تنتظر من الأمة العربية العونَ.كما أنّ الشاعر استنادا إلى نظرية تمثيل الفاعلين الاجتماعيين لفان ليوين، قد وظّف مُكوّنة "المكونَة"(أبوعلي واميرسليماني، ١٤٠٢ش:٥٤) ليُضفي على النص طابعا مقدسا ويجعل الرسالة أقوى، لأنّ صوت الأرض أصدق من صوت البشر الذين قد يضعفهم اليأس كما أنّ الشاعر باستخدام القدس بدلا من أهل القدس لا يقتصر على الناس الذين يسكنون فيها حاليا، بل يشمل كل ما تمثّله القدس من قداسة وتاريخ وهوية للأمة العربية والإسلامية وهذا يجعل المعنى أشمل وأعمق: «صارخكم في الناس هبوا...ويحكم..ويح السكارى/ قدسكم تبكي عليكم...قدسكم تبكي انتظارا/ أرضكم ترنو إليكم...أرضكم تبكي الفرح منذ أن باتت سبية» (المصدر نفسه، ۱۹۹۹م:۱۳۳)

۳-۱-۳. التنبؤ أو التكهّن(Prediction): لا ترتكز التنبؤات على سلطة ما. بل تقوم على أساس الخبرة والاختصاص. ومن ثمّ يمكن رفضها مبدئيا.(فان ليوين، ۱۳۹۵ش:٦٥٣)

فإنّ الشاعر بوصفه صاحب خبرة ورؤية نافذة، يتنبّأ بمستقبل يشرق فيه النور ويولد من رحم الغيب. فـ"مجلو النور" صورة استعارية للنصر والظفر وليس هذا الانتصار مجرد نتيجة طبيعية للقتال بل هو ثمرة لمدد غيبي أو لإرادة متعالية ما يضاعف يقين الجمهور بحتمية الانتصار. في الحقيقة يمارس الشاعر دور المتنبّئ صاحب البصيرة الذي يخترق ستر الغيب بخبرته وإيقانه ليعلن للمتلقّين أنّ النور رغم اختفائه اليوم موجود في رحم الغيب وسيولد لا محالة. هكذا يشرعن حسن توفيق وفقا لتقنية "التنبؤ" من تقنيات الشرعنة عند

فان ليوين، فعل المقاومة ويثبت الأمل في نفوس المخاطبين: «إيمان الشعراء بأنّ غدا مجلو النور...سيولد من أحشاء الغيب.»(توفيق، ١٩٩٩م: ٤٦٤)

فيعزّز صاحب الخطاب من خلال تقنية "التنبؤ" مكانته لدى المتلقي، إذ يبرز خبرته وبصيرته بما هو آت، ويحوّل الواقع المؤلم إلى وعد بمستقبل أفضل. يعرض حسن توفيق تغييرات إيجابية للزمن القادم كما في "سأوافي في الشمس الحلوة من أعشقه" و"سنضحك مما يبكينا الآن" موضّحا أنّه يمتلك رؤية واضحة للأحداث المقبلة. يشير الشاعر كذلك إلى الصعوبات والعوائق الحالية "من وضعوا زمنا فوق جبين الشمس الأوحالَ"، ثم يؤكّد على قدرة الشعب على تجاوزها وفتح آفاق جديدة وتحويل التحديات الحالية إلى فرص للنجاح والتحرّر ولحظات فرح:

لكنّي أقسم بالأطفال أنّي يوما سأوافي في الشمس الحلوة مَن أعشقه وسنضحك مما يبكينا الآن...وممّن وضعوا زمنا فوق جبين الشمس الأوحال وسنفتح بابا عِشنا- زمنا- نطرقه....(المصدر نفسه، ١٩٩٩م: ٥١٥)

٢-٣. التسويغ الذرائعي(instrumental):في إطار التسويغ الذرائعي، تُحدّد مشروعية الأفعال بحسب المقاصد التي تخدمها والوظائف التي تؤدّيها وما تُحدثه من نتائج في الخطاب. (vanleeuwen,٢٠٠٧:١٠٥)

١-٢-٣. الموجّه نحو الهدف(Goal-oriental): يتم وضع الأغراض في تقنية"الموجه نحو الهدف" كأهداف واعية أو غير واعية للناس. ويقتضي ذلك أن يتطابق الفاعل الاجتماعي الذي يؤدّي الفعل الهادف مع الفاعل الاجتماعي المرتبط بتحقيق الهدف المنشود. وبصياغة منهجية أخرى، يمكن التعبير عن ذلك بالقول:إنّني أنجز الفعل (أ) بهدف أن ينحقق الفعل (ب).(لاكلائو، ١٩٣٥م:٢٨٢)

يُظهر حسن توفيق في خطابه صورة المقاومين الذين يستيقظون قبل الفجر بينما يجعلون أصواتهم سلاحا ضد الفساد. فيربط الشاعر فعلهم بهدف كبير يتمثّل في رفع راية الإصرار يعني التمسك بالقيم العليا والاستمرار في النضال والدفاع عن الطهر. من هذا المنطلق، تتحوّل كل التضحيات حتى ضياع أجمل سنوات العمر إلى تضحيات مبرّرة وذات معنى، ومن خلال ذلك، يُضفي الشاعر الشرعنة على فعل المقاومة، حيث يحوّلها إلى فعل مشروع يعتمد على هدف محوري يعلو فوق كل المصالح الشخصية:

«قبل خطى الفجر/ يصحو الذين أطلقوا أصواتهم قنابلا ضد خطى العهر/ ليرفعوا الراية بالإصرار والطهر/ مهما أضاعوا أجمل العمر(توفيق، ١٩٩٩م: ٢٥٠)

يخلق الشاعر ديناميكية في أشعاره حتى يجعل القارئ يعيش روح المقاومة. إنّه يقدّم في نصه صورة رمزية عميقة للنضال الشعبي، حيث يُضفي الشرعنة إلى ثورة المظلومين ضد الظالمين وتضحيتهم في سبيل حرية الوطن من خلال توظيف تقنية "الموجه نحو الهدف". من هنا يوظّف حسن توفيق هذه التقنية لبيان مقاصد هذه الأفعال(الثورة والتضحية). فهو يُبرز أنّ أبناء الأرض المظلومين يقاتلون لاسترداد موطنهم المسلوب ولغرس آمالهم وأحلامهم فيه:

«أحبابنا الفقراء والبسطاء راحوا يرفعون الراية العربية الخفقات، والمصرية اللمسات، مندفعين-رغم قنابل المتنمرين الأثرياء وعصبة اللؤماء- فوق رمالك العطشانة القسمات،

والمأسورة الذرات يا سيناء..كي يسترجعوا الأرض الحبيبة، زارعين على جبين الدهر في قلب المدى الآتي لهم أغلى الورود.» (المصدر نفسه، ۱۹۹۹م:٤٨٩)

۲-۲-۳. الموجّه نحو الأداة(Mean-oriental): يتمّ إضفاء الشرعنة على الفعل من خلال الطريق الذي يُنجز بها الفعل. فالعامل هنا ليس ذا أهمية. فدور الفاعل يُهمَّش هنا. وتعتمد هذه التقنية على استخدام صيغ وتعابير من قبيل "عن طريق" و"من خلال" وغيرها.(ليوين، ۲۰۰۷م:۱۰۱-۱۰۰)

يقدّم حسن توفيق لوحة نقدية حادة لآليات التلاعب السياسي بالجماهير الفقيرة عبر ما يمكن تسميته بـ"التقنية الأداتية". فيتكلّم الشاعر عن لصوص يحطّون من إنسانية الشعب الشقي وينظرون إليه ككتلة يمكن جرّها ودفعها لا كأفراد ذوي وعي وإرادة. فالانسان الفقير يُعامَل كشيءٍ يمكن شراؤه بفتات والتحكم به عبر الوعود الزائفة والكاذبة. فيجعل الشاعرُ فعلَ "السوق" منزوع الشرعنة أخلاقيا وإنسانيا من خلال أدوات ذُكرت صراحة بحرف الباء وهي رشوة مادية والوعود الكاذبة:

«هذي أصوات المرتزقة أشباح البؤس تصب على الطرقات وفي الحجرات غناء المرتزقة:"أعطنا الفرصة حتى نتغنى بنهار لن تراه الأكثرية وانفتاح للصوص سوف يأتون خفافا من بلاد أجنبية باذرين الوهم في وديانا حين يسوقون الجماهير الشقية بفتات من نقود وكثير من وعود وأمان زئبقية» (توفيق، ۱۹۹۹م:٤٥٠)

يقدّم الشاعر نصّا احتجاجيا ضدّ إطار نقد الرأسمالية المتوحشة. فيوظّف حرف الاستعانة "الباء" في قوله: «يفتح التجار عالمنا بالغش والعفن» توظيفا دقيقا يكشف البنية الأداتية لفعل السيطرة وينزع عنه أي مشروعية أخلاقية. فالباء هنا ليست مجرد رابط لفظي، بل يربط من خلال ذلك فعلَ "يفتح" إلى أداة محددة هي"الغش والعفن"، وبذلك يُفهمنا النص أنّ ما يسمّى "فتح العالم" لا يتحقق إلا عبر آليات التزييف والفساد. من منظور تحليل الخطاب النقدي لفان ليوين، بما أنّ الأداة المستعملة لفتح العالم والسيطرة عليه هي الغش والفساد فذلك الفعل منزوع الشرعنة؛ لأنّ "الفتح" القائم على وسائل لا أخلاقية يُعتبر هيمنة وسطوة. كما أنّ سحب الأرض من تحت أقدام عشاقها سواء عبر سياسات وقوانين ظاهرية أو من خلال اتفاقيات تُبرَم في الخفاء، يُعدّ تأكيدا على الفعل اللاشرعي الذي يماسه الأثرياء في بسط هيمنتهم على عالم الشعب الفقير:

«أهكذا يفتح التجار عالمنا بالغش والعفن وتُسحب الأرض من أقدام عشاقها في السر والعلن» (المصدر نفسه، ۱۹۹۹م:٤٥١)

۳-۲-۳. الموجّه نحو الأثر(Effect-oriental): منح الفعل مشروعيته على أساس آثار يخلّفها. (فيروزجائی، ۱۳۹٦ش:۱۷۳)

يقدّم الشاعر تشريحا لانهيار مجتمع بأكمله. ويرسم مسارا ينتقل من الفساد الاقتصادي والأخلاقي إلى موت الوعي. يرى الشاعر أنّ للصمت تبعات خطيرة. فالسكوت حيال معاناة أرامل الشهداء الذين ضحّوا بأنفسهم والصمت تجاه التجار الذين ينهبون الشعب المظلوم وكذلك الصمت إزاء الانتهازيين الذين تكاثروا عبر دفع الرشاوي لصغار المسؤولين وكبارهم، يترتّب عليها نتائج كارثية. إذن يوظّف حسن توفيق تقنية «الموجة نحو الأثر» لنزع الشرعنة عن الصمت في وجه الفاسدين اقتصاديا وسياسيا. ويكشف عن النتيجة

المحورية والحتمية لهذا الصمت، وهي وصول الفساد إلى آخر معاقل النور والوعي أي المثقفين. إنّه مال في هذا المقطع إلى استخدام كلمات ذات معنى ضمني لإيضاح فكرته على أساس مكونة "الدلالة الضمنية" التي تمثّلُ مجموعة واسعة من الأفكار والقيم.(انظر ليوين، ٢٠٠٤م:٤٩٧) فإنّ الشاعر على أساس هدفٍ يرمي إليه وهو نزع الشرعنة عن النظام الاقتصادي والسياسي لمجتمع يعيش فيه الشاعر، وظّفَ الألفاظَ التي لها معنى ضمني في هذه القصيدة مثل الغربان والعنكبوت والعيون:فالدلالة الثانوية للعنكبوت الذي يحطّ معششا فوق العيون هي حالة الزوال والخراب التي لن تكون مؤقتة بل تصبح الوضع الدائم. والمعنى الثانوي للغربان التي باضت هو فساد يتكاثر في المجتمع. أمّا العيون الحارسة فتعبّر من خلال معناه الثانوي عن المثقّفين:

«انكفأت على الطرقات كل أرامل الشهداء، يبكين الذين تبعثرت أجسادهم راضين، والتجار عادوا ينهشون اللحم، والغربان باضت حرّة، من بعد أن دفعت رشاوي للصغار والكبار وكل ملّاك الأراضي، فاصمتوا وتوقّعوا للعنكبوت بأن يحط معششا فوق العيون الحارسة.» (التوفيق، ١٩٩٩م: ٤٣٩)

إنّ هدم الباطل يعتبر من أعظم الخطوات في سبيل تحقيق العدالة والحرية. فيركّز الشاعر على التأثير العميق لإزالة الزور والباطل على أساس تقنية "الموجّه نحو الأثر"حيث يعتبر فعل "دكّ الزور" فعلا محوريا في مسيرة التحرّر والحق. لا يكتفي الشاعر بعرض تأثير الفعل لإضفاء الشرعنة على العزم القوي والثورة، بل يبرز من خلال تقنية"الموجّه نحو الأداة" بوضوحٍ الأدوات والوسائل التي تؤدّي إلى ذلك. فيعبّر عن أنّ التحقّق الحقيقي للحق والحرية لا يكونُ إلّا من خلال إرادة قوية وعزيمة متواصلة والفعل الثوري:

«لندكّ الزور بالإصرار والثورة حتى يستعيد الحق فجره وتعود الأرض حرّة» (المصدر نفسه، ١٩٩٩م: ٢٨٩-٢٨٨)

٣-٣. التفويض(authorization): تتحقّق هذه الشرعنة من خلال الإحالة إلى سلطة التقليد والعادات والقانون أو إلى شخص يتمتّع باعتبار معترف به داخل مؤسسة معينة.(كريمي فيروزجايي، ١٣٩٦ش:١٦٦)

١-٣-٣. القدوة (role model):يعدّ نظام النمط والنموذج أحد أساليب التفويض، حيث يقوم هذا النظام على اقتداء الأفراد بنماذج وأنماط وقادة يتمتّعون برؤى سامية وأهداف نبيلة يسعون إلى تحقيقها.(فان ليوين، ٢٠٠٤م: ١٢٣وفان ليوين، ١٣٩٥ش:٥٠٤)إذن تُضفي تقنية القدوة، الشرعنةَ على فعل من خلال إحالته إلى شخصية تاريخية أو دينية تحظى بمكانة خاصة في الوعي الجمعي.

إحدى الشخصيات الدينية التي يوظّفها الشاعر حسن توفيق في خطابه هو النبي نوح (ع) بوصفه نموذجا أعلى ورمزا للخلاص والنجاة من المحن. في الحقيقة يدعو الشاعر، الثائر الحقيقي إلى أن يكون كنوح، فإنّه يطالبه بأن يجمع المظلومين والمستضعفين في سفينة الثورة ليخلصهم من ظلم المستبدين كما جمع نوح (ع) المؤمنين في سفينته لينقذهم من الطوفان. فهذا التوظيف لا يضع الفعل الثوري في إطار سياسي فحسب، بل يجعله فعلا ذا قيمة مقدسة يستمد شرعيته من قدوة دينية:

«وقال لنا صحابته انظروا هذا نبي الله نوح جاء ينقذكم من النيران والمحن/ مباركة سفينته التي كانت سفينتكم(توفيق، ۱۹۹۹م:۲۳۷)

يعدّ توظيف الشاعر لشخصية طه حسين مثالا بارزا لتقنية"القدوة"، حيث يُستحضر هذا الرمز الثقافي والفكري العربي لإضفاء الشرعنة على فعل المقاومة أمام الشدائد وعدم الاستسلام واليأس. فلا يُقدّم طه حسين في الخطاب باعتباره أديبا أو ناقدا فحسب بل بوصفه رمزا للصلابة والإصرار، ومثالا للأباة الذين يرفضون الذلّ. لقد جسّد طه حسين في مسيرته معاني العزم والإرادة، إذ حوّل إعاقته البصرية من قيد يحدّ من طموحه إلى حافز يدفعه نحو الإبداع والتميّز. فقد كان طه حسين متميزا كأحد روّاد التجديد في مصر والعالم العربي وكناقد للحكام المستبدين في مصر. وهذا ما يجعل منه مرجعية أخلاقية وفكرية تمنح خطاب الشاعر قوة إقناعية مضاعفة. من هنا عندما يستحضر الشاعر حسن توفيق صورة طه حسين، فإنّه يربط بين مسيرة المثقف الكبير و بين مسيرة المناضلين الذين يسعون إلى التحرّر والكرامة:

طه عرفتك كوكبـــــــــــــــا وضّاء ما جئت أبكي من أضاء سماء
أنت الذي علمتنا أن الفجائع ليس يسقيهـــــــــــــــا الأباة بكاء
أنت الذي علمتنا أنّ الشدائد لا تزلزل للرجـــــــــــــــال رجاء(المصدر نفسه، ۱۹۹۹م:٤٦٩)

٤-٣. التقييم(evaluation):يقصد إضفاء الشرعنة بالاستناد إلى منظومات التقييم.(فركلاف، ۲۰۰۹م: ۱۹٤) ويعدّ بعدا من أبعاد معنى النص يرتبط بالمنظومة القيمية. يستخدمه علماء الاجتماع وعلماء النفس لوصف نزعة الأفراد إلى إصدار أحكام تقويمية بشأن الأنماط المختلفة من اللغات. وهي أحكام تعبّر عن مواقفهم حيال اللغات وتنوعاتها المتعددة.(سوان، ۲۰۱۹م:١٤٠)

١-٤-٣. القياس(Analogies):على أساس تقنية "القياس"، يتمثّل الجواب على السؤال الأساسي:لماذا يجب أن أقوم بهذا العمل؟في أنّ ذلك يعود إلى أنه يشبه نشاطا آخر يحمل قيمة إيجابية(التشبيه الإيجابي) أو لأنّه لا يشابه شيئا آخر مرتبطا بقيم سلبية(التشبيه السلبي).(فان ليوين، ۱۳۹٥ش:٥٢١)

اختار الشاعر بوعي أن يضع شخصية الحرّ في موضع المطر، وهو رمز أسطوري قديم للخصوبة والتطهير والبركة الإلهية. هذا ليس فعلا عفويا. بل يهدف الشاعر من خلال تقنية القياس الإيجابي إلى إضفاء الشرعنة على قضية وهي قضية حاجة الشعب إلى الحرية والنضال من أجلها. فينقل الشاعر الصراع من ساحته السياسية المحدودة إلى ساحة الصراع الأبدي بين قوى الحياة(المطر، الحرّ) وقوى الموت(الجفاف، اليأس). يمنح الشاعر فعل الحرية شرعية مطلقة. فإنّه ليس تمرّدا فوضويا بل هو انبعاث منظم ومتناغم كالأرض التي تهتزّ وتربو بعد نزول المطر. فيستخدم من هذا المنطلق، قياسا إيجابيا ليقول: انتظارنا ليس علامة ضعف، بل إنّه أمر ضروري مثل حاجة الأرض الجافة إلى المطر والحنين إليه. وأملنا في الخلاص ليس مجرد حلم بل هو حقيقة كحاجة الأرض للماء. فمَن يعارض أملنا كمن يعارض نزول المطر على أرض ميتة أي أنه يقف ضد قوانين الحياة. تتجسّد الغاية القصوى للشاعر في تأسيس مشروعية مطلقة لحقيقة مفادها أنّ المجتمع الذي يعيش في ظل

اليأس والقمع هو مجتمع ميّت وأنّ الثورة من أجل الحرية ليست عملا من أعمال العنف، بل هي الفعل الأسمى للحياة:

«نحن كنا نناديك-يا حرّ- في عمق أحلامنا
منذ أن جمد اليأس أرواحَنا فارتمت مزقا تحت أقدامنا
أي معزوفة أنت أسمعتنا فانطلقنا على وقعها بعد كبوة؟
نحن كنّا عطاشى إلى طلعتك
مثلما تعطش الأرض عريانة في غياب البشير بدفق المطر» (توفيق، ١٩٩٩م:١٣٦)

لقد استخدم الشاعر، القياس السلبي كأداة ليبني واقعا وهو واقع الموت الروحي للشعب بينما ينزع الشرعنة عنه. وذلك من خلال تشبيهه بالحجارة لاشتراكهما في علة منفية وهي غياب أسباب الحياة الجوهرية. إنّ هذا التشبيه يعتمد على نفيين صريحين:إنّ عبارة «ليس فيها خفقات» نفي للحياة العاطفية.فالخفقان هو الرمز المادي للقلب كمصدر للشعور والإحساس. وعبارة «وليس فيها اتّقاد» هو رمز للحماس والفكرة والثورة، يثبت الشاعر عبرها أنّ الشعب مثل الحجارة، منفيّ عنهم قوة الإرادة. في الحقيقة عبر هذا القياس السلبي، يريد الشاعر أن يثبتَ أنّ ما حدث لهم كان عملية إلغاء وسلب كامل للوجود. فإنّه لا يذكر العلة مباشرة بل يرويها عبر سلسلة من الأفعال التي يمثّل كل واحد منها مرحلة من مراحل النفي. فعل «داهمتنا» هو فعل نفي الأمان وفعلا «على الأرض طوّحتنا/شدّتنا إليها» هما يصوّران نفي الإرادة والحرية والمقاومة وفعل«مصّت الدم» فهو نفى جوهر الحياة. من هذا المنطلق يقدّم الشاعر قياسا سلبيا آخر وهو تشبيه أفعال العدو بأفعال النمر (الافتراس، القتل، تمزيق الفريسة) التي لا تخضع لأي منظومة أخلاقية أو قانونية بينما يتّجة إلى نزع الشرعنة عن هذا الأفعال:

كأنّ الناس صاروا حجارة، ليس فيها خفقات، وليس فيها اتّقاد، وكأنّ النمور قد داهمتنا، وعلى الأرض طوحتنا وشدّتنا إليها، ومصّت الدم(المصدر نفسه،١٩٩٩م:٤٧٧)

٢-٤-٣. التقييم الأخلاقي(moral evalution):قد استخدم منتجو الخطاب استراتيجيات مختلفة لتحقيق أهدافهم الأيديولوجية. وأولى الاستراتيجيات الخطابية في عملية الكشف هي "التقييم الأخلاقي"، والذي يتضمّن نسب الصفات والخصائص الأخلاقية سواء إيجابية أو سلبية إلى الأفراد والمنظمات ومجموعة العلاقات القائمة في المجال الاجتماعي.(كريمي فيروزجائي، ١٣٩٦ ش:١٧٠)

إنّ التقييم الأخلاقي في خطاب الشاعر، ينقسم إلى التقييم الإيجابي والتقييم السلبي. يسعى الشاعر إلى نزع الشرعنة عن الحكومة، ولذلك يوظّف تقنية "التقييم الأخلاقي" من النمط السلبي في خطابه. فهو يقدّم هذه الحكومة في صورة مشحونة بدلالات سلبية من خلال إسناد صفات وتقويمات أخلاقية مذمومة إليها، موزّعة في أدوار نحوية وصيغ صرفية متنوعة داخل النص بحيث تصبح تلك الصفات السلبية مكوّنا أساسيا من صورة الحكومة كما تتشكّل في ذهن القارئ وتترسّخ في وعيه. من هنا يهتمّ حسن توفيق بنزع الشرعنة عن حكومة تمارس القتل وتُشيع الخنق السياسي وتخلق فضاء من الرعب بتوظيف صفة "الدامي" للزمن (الزمن الدامي) بحيث أنّها أصابت الكلمة بالشلل والهرم (صارت عرجاء/هرما) فلم تَعُد قادرة على أداء دورها المتمثّل في إحداث التغيير والإصلاح.كما تعدّ هذه الحكومة غير

مشروعة لأنّ الصحف التي تُطبع في ظلّها تعتمد على عناوين كاذبة ومبالغ فيها (الصحف الصفراء)، في محاولة لتقديم أوضاع المجتمع في صورة مثالية ومُرضية على نحو زائف. وتزداد لا شرعية هذه السلطة وضوحا من خلال تصوير زعماء السلطة في هيئة ذئاب تخون شعبها(الذئب الخوّان)، وتستعين في سبيل بلوغ أهدافها بأعوان حمقى من أتباعها(كل البلداء). من هذا المنطلق، توظيف صفتَي"الصفراء" و"الخوّان" كالنعتين إلى جانب استخدام الصفات المشبهة "عرجاء" و"البلداء" و"هرما" يساهم بدرجة كبيرة في تقديم هذه الحكومة في صورة سلبية:

«لا شيء سوى قطرات الصمت وأجنحة الزمن الدامي
تُطوي فوق رؤوس الأصحاب، الكلمة صارت عرجاء
والليل سقاها هرما ودماء
نحلم بالريح تجرجر أوراق الصحف الصفراء على الأسفلت
وتدق بقبضتها عنق الذئب الخوّان وتشدّ إلى قاع النسيان كل البلداء من الأعوان»
(توفيق، ١٩٩٩م:٤١٦-٤١٧)

يسعى الشاعر إلى إضفاء الشرعنة على فعل الشهادة والموت في ساحة الحرب في سبيل الحق، فيعمد إلى التقييم الأخلاقي من النوع الإيجابي، فينعت الشهداء بصفة "كراما" الواردة في موضع الحال ليقدّمهم أناسا شرفاء يجعلون بتضحياتهم وإيثارهم العالمَ أكثر إشراقا بنور الكرامة والمعرفة والعدالة والحقيقة، الذين غابوا حسيّا فقط، بينما يبقى حضورهم المعنوي قائما في وجدان الجماعة وذاكرتها:

«شهداء النضال غابوا كراما بعدما زادوا للسماء الكواكبَ» (المصدر نفسه، ١٩٩٩م:٣٩١)

٥-٣. التحويل الحكائي(mythopoesis): يُقصد بالتحويل الحكائي عملية الشرعنة من خلال السرد، أي توظيف الحكاية وسرد الوقائع بوصفهما وسيلة لإضفاء الشرعنة على الفعل أو الفكرة. ويتّسم النص في هذا السياق بثرائه بالمرويات القصيرة التي تُستدعى لتأكيد القيم والمعاني المراد ترسيخها.(فاركلوف، ٢٠٠٩م :١٩٤و١٩٧)

يسعى الشاعر من خلال استخدام تقنية "التحويل الحكايي" وذكر حكاية أخلاقية، إلى إضفاء الشرعنة على فعل معين. فهو يضفي الشرعنة على فعل خدمة الناس بذكر فعل أخلاقي يرتبط بشخصية سياسية تُدعى عبد الناصر. وهو فعل أخلاقي يشرعنه صراخ فرح الناس كدليل على رضاهم عنه. في الواقع، إنّ البطل الثوري الذي يصوره الشاعر هو شخص يغامر بنفسه لينقذ شعبه من مخاطر الدول الغربية، ومن خلال هذا الفعل الأخلاقي (الإنقاذ) يضيء نور الأمل والطموح في قلوبهم:

«وراح الثائر العملاق يبحر في محاولة النجاة بنا من الأخطار تجاه الشاطيء الغربي
فراح يجرّب الابحار تجاه الشاطيء الشرقي حيث رأى مساندة لوجهته الربيعية
سفينتنا على الأمواج طافية تبارك سيرها روح من الأمل وأشواق إلى شط يلوح لناسها البسطاء
سنبلغه لكي نبني وكي نجني من الثمرات ما نرجوه بالعمل

ونسعد نحن بعد شقاء/تعالت صيحة الفقراء في فرح بثائرها فكم لاقى قراصنة» (توفيق، ١٩٩٩م: ٢٣٨-٢٣٩)

كذا يعمد حسن توفيق إلى توظيف حكاية تحذيرية يهدف من خلالها إلى نزع الشرعنة عن فعل غير أخلاقي.ومن ثمّ، يشير بصورة ضمنية إلى أسلوب حكم شخصية تاريخية تُدعى أنور السادات الذي لم يحظ بتقدير شعبه، بل كان موضع كراهية ونقمة لديهم، لأنّه كان خاضعا لأوامر الغرب، وتجاهل مصلحة أبناء وطنه. وقد وفّر لنفسه ولأسرته حياة مترفة من خلال نهب الشعب، مما أدّى إلى شقاء الناس وإشاعة البؤس بينهم:

جيء لنا بقرصان لئيم الطبع عصبَنا ليمضي بالسفينة في مدى يمتد للغيب/وإن كنّا تنبهّنا بأنّا لا نتابع غير وجهة من قد اتجهوا إلى الشطئان في الغرب/وترهقنا سفينته المخوخة الجوانب دون أن ندري لها وجهه/وزوجته تلاطفنا بأثواب مزخرفة لتلهينا عن السرقة/ وتمضي في العباب بنا سفينته فنلعنه ونحن نقلّب البصرا فلا نلقى سوى الطوفان/رأينا حضرة القرصان يرفل في النعيم ومن معه من الندماء دنياهم منوّرة/تطوقنا المجاعة(المصدر نفسه، ١٩٩٩م:٢٤٣-٢٤١)

نتائج البحث

يوظّف الشاعر في خطابه، الأنواع الثلاثة من التسويغ الذرائعي؛ فهو من خلال تقنية"الموجه نحو الهدف"، يُجسّد أمام المتلقّي الغايات السامية التي يلتزم بها المناضل الحقيقي، وباستخدام تقنية"الموجه نحو الأداة" يُحذّر من طرق يلجأ إليها الانتهازيون لاستغلال الفئات المستضعفة ومن خلال تقنية"الموجه نحو الأثر" يُذكّر بعواقب الصمت في مواجهة أصحاب السلطة.

قد وردت في هذا الخطاب، الأنماط الثلاثة من التسويغ النظري، أيّ:التعريف، والتبيين، والتنبّؤ. فمن خلال تقنية "التعريف"، تُطرَح تحديدات مفهومية لبعض الأفعال، بما يُتيح شرعنة هذه الأفعال أو عدم شرعنتها للمتلقّي بصورة جلية. أمّا الشاعر فيستخدم تقنية "التبيين" لإضفاء الشرعنة على أفعال في مصلحة شعبه والأمة العربية. كذلك يعتمد على تقنية "التنبؤ"في رسم مستقبل مشرق ومفعم بالأمل لشعبه وللمستضعفين.

بما أنّ حسن توفيق، كان يعيش في بلد كانت السياسات الحاكمة فيه وما سنّته من قوانين، في تعارض مع مصالح الشعب، فإنّه لم يلجأ إلى أيّ شكل من أشكال التفويض القائم على القانون، بل اكتفى بالاستناد إلى القدوات الدينية والأدبية ذات رؤي سامية.

يوظّف الشاعر كلَى القياس الإيجابي والقياس السلبي من أجل إضفاء الشرعنة على بعض القضايا أو نزع الشرعنة عن قضايا أخرى. فهو يستعين بالقياس الإيجابي للتأكيد على حاجة الشعب الملحّة إلى الحرية، ويستخدم القياس السلبي عندما يريد توجيه النقد إلى حالة اللامبالاة أو انعدام الإرادة لدى هذا الشعب.

يتجلّى التقييم الأخلاقي في خطاب حسن توفيق بصورتين متقابلتين:سلبية وإيجابية. فمن جهة يقدّم الشاعرُ قادة النظام وأصحاب السلطة كأشرار وجهلة. ومن جهة أخرى يقبل إلى تقييم أخلاقي إيجابي عند الحديث عن أولئك الذين قد نالوا درجة الشهادة في المقاومة لهذه السلطة معتبرين إياهم شرفاء.

یروي هذا الخطاب سيرة الحكام وأسلوب حكمهم، أولئك الذين قد انتهوا إلى مصائر متباينة من أجل السياسات اتخذوها تجاه شعوبهم.فبعضهم أصبح محبوبا لدى الناس بينما أصبح بعضهم الآخر موضع بغضهم وكراهيتهم.

من هذا المنطلق، يظهر أنّ الشاعر قد استفاد في شعره من تقنيات متعددة مثل التحويل الحكائي، وتقنية القدوة من أوجه التفويض والتعريف والتبيين والتنبؤ من أشكال التسويغ النظري والموجّه نحو الأثر والموجّه نحو الهدف من أقسام التسويغ الذرائعي والتقييم الأخلاقي والقياس من أنواع التقييم. إنّه من خلال توظيف هذه التقنيات، قد حاول إضفاء الشرعنة إلى مفاهيم مثل العدالة والمساواة والحرية والتضحية وطلب الشهادة والأمل بالنصر واليقظة، كما قام بنزع الشرعنة عن قضايا مثل الفساد السياسي والاقتصادي والصمت أمام الظلم.

المصادر

الكتب العربية

- بيكر بول؛ ايليج سيبونيل(٢٠١٨م). **المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب،** (الترجمة: ناصر بن عبدالله بن غالي)، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- توفيق، حسن(١٩٩٩م). **الأعمال الشعرية،** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سوان، جون والآخرون(٢٠١٩م). **معجم اللغويات الاجتماعية،** فوّاز محمد، عبدالرحمن حسني: المترجمان، الطبعة الاولى، الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع.
- شارادو، باتريك ؛منغنو، دومينيك(٢٠٠٨م). **معجم تحليل الخطاب،** (الترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود)، تونس: دارسيناترا.
- فاركلوف، نورمان(٢٠٠٩م). **تحليل الخطاب،** طلال وهبه: المترجم، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فان ليون، تئو(٢٠٠٤م). **آشنائی با نشانه شناسی اجتماعی،** محسن نوبخت، تهران: انتشارات علمی.
- كريمي فيروزجائي، علی(١٣٩٦ش). **گفتمان شناسی انتقادی،** تهران: انتشارات جامعه شناسان.
- لاكلا، ارنستو والآخرون(١٣٩٥ش). **تحليل گفتمان سياسی، امر سياسی به مثابه يک برساخت گفتمانی،** (الترجمة: امير رضائی پناه وسميه شوكتی مقرب)، تهران: انتشارات تيسا.

الكتب الفارسية

المقالات

- حياتي، زهرا؛ عزيززاده، فاطمه(١٣٩٩ش). «باز خوانی باب اول بوستان سعدی با رويكرد مشروعيت بخشی در گفتمان حكومت»، *مجلة متن پژوهی ادبی*، ش٨٣، ص٢٢٢.
- أبوعلي، رجاء، واميرسليماني، شهرزاد(١٤٠٢ش)، تحليل الخطاب النقدي لقصيدة «الرحيل إلى مدن العشق للبياتي»على ضوء نظرية فان ليوين، *الأدب العربي*، العدد ٢٨.

الرسائل

- طاهرخاني، فاطمة(١٣٩٤ش). **بررسي ظرفيت هاى گفتارى بازتوليد مشروعيت سياسى در جمهورى اسلامى ايران**، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه، ايران، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، فرع العلوم السياسية.

References

- Abu Ali, Raja, and AmirSoleymani, Shahrazad, (١٤٠٢). «Critical Discourse Analysis of the Poem "The Journey to the Cities of Love"» by Al-Bayati in Light of Van Leeuwen's Theory, *Journal of Arabic Literature*, No. ٢٨,pp. ٤٣-٧٠.[In Arabic]

- Baker, Bull, Elijah Siboneil,(٢٠١٨), **Al- Mustalahat al-Mafateeh fi Tahlil al-khitab**, translated by Nasser bin Abdullah bin Ghali, Riyadh, King Saud University]In Arabic[Press.

- Berger, Peter and Thomas Lukman(١٩٦٦**), The Social construction of Reality**, Harmondsworth, England: Penguin.

- Fairclough, N,(٢٠٠٩), **Discourse analysis**,Translated by Talal Wahba,Beirut:Arab Organization for Translation. [In Arabic]

- Hayati, Zahra & Azizzadeh, Fatemeh,(٢٠١٩**) "**re-reading the first chapter of Bostan Saadi with a legitimizing approach in the discourse of government**"**, *Journal of Literary Text Studies*, No. ٨٣,pp. ١٩٤-٢٢٢. [In Persion]

- Karimi Firouzjaei, Ali, (٢٠١٦), **Critical Discourse Studies**, Tehran: Sociologists Publications. [In Persion]

- Laclau, E and others, (١٩٣٥), **Analysis of Political Discourse (Political Matter as a Discourse Construction)**, (Translated by: Amir Rezai Panah and Somia Shawkti), Tehran: Tisa Publishing. [In Persion]

- Sharado, P.and Mengino, D,(٢٠٠٨**), A Dictionary of Discourse Analysis**,Translated by Abdelkader Al-Muhairi and Hammadi Samoud, Tunisia: Dar sinatra.[In Arabic]

- Swan,j and others, (٢٠١٩), **Dictionary of Sociolinguistics**,Translated by Mohammad Fawwaz,Abdurrahman Hasani,First eddition,Riyadh:Dar wojooh for publishing.[In Arabic]

- Taherkhani, Fatemeh, (٢٠١٥**), An Examination of the Discursive Capacities for the Reproduction of Political Legitimacy in the Islamic Republic of Iran**, phD Dissertation, Iran, Allameh Tabataba`i University, Faculty of Law and Political Science, Depatment of Political Science. [In Persion]

- Tawfiq, Hassan, **The Poetic Works**, Cairo, The Egyption General Book Organization.[In Arabic]

- Van Leeuwen, T,(۲۰۰٤), **Familiarity with social semiotics**,Translated by Mohammad Nobakht, Tehran: Scientific publications [.In Persion]
- Van Leeuwen, T, (۲۰۰۷), **Legitimation in Discourse and Communication**. London, Los Angeles, New Dehli and Singapore.
- Van Dijk, T.A.(۱۹۹۷), **Ideology:A Multidisciplinary Approach**.London:Sage.
- Weber, Max (۱۹۷۷**), The Theory of Social and Economic Organization**, New York:Free Preshttp://elghrib.blogspot.co.uk/p/blog-page_۷٤۷۹.html.

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ١٧، ربيع ١٤٠٤
صص١٠٠-٨٠

مقاله پژوهشی
DOI: ١٠,٢٢٠٣٤/jral.٢٠٢٦,٥٦٧٣١٤,١٠٩١

مشروعیت بخشی و مشروعیت زدائی در اشعار حسن توفیق براساس نظریه ون لیوون

شهرزاد امیرسلیمانی[1]

(تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۱۲/۰۱، تاریخ دریافت: ۱۴۰۴/۰۹/۲۹)

چکیده

تحلیل گفتمان انتقادی در تلاش است از افکار و ایدئولوژی‌های پنهان در گفتمان پرده بردارد. ون لیوون به عنوان یکی از نظریه پردازان تحلیل گفتمان انتقادی، نظریه کنشگران اجتماعی را مطرح نموده است و از طریق آن می‌کوشد به برخی از کنش‌ها و رفتارهایی که کنشگران اجتماعی انجام می‌دهند، مشروعیت بخشیده یا از آن سلب مشروعیت نماید. در الگوی مشروعیت بخشی یا مشروعیت‌زدایی، منتقد تلاش دارد تا به کشف تکنیک‌هایی بپردازد که تولید کننده گفتمان آن‌ها را جهت مشروعیت بخشی و مشروعیت‌زدایی به‌کار گرفته کما اینکه به کشف موضوعاتی اهتمام می‌ورزد که بدان مشروعیت بخشیده شده و یا از آن مشروعیت‌زدایی شده است. این پژوهش، با بهره‌گیری از روش تحلیلی–توصیفی و با تکیه بر نظریهٔ مشروعیت بخشی و مشروعیت زدایی ون لیوون انجام شده است. این نظریه که بر تکنیک‌های اقتدارسازی، موجه‌سازی، اسطوره‌سازی و ارزیابی بنا شده است قصد دارد تا به بررسی تکنیک‌های مشروعیت‌بخشی و مشروعیت زدائی در گفتمان حسن توفیق بپردازد، شاعری که شعر را منبری برای دفاع از موضوعاتی چون مقاومت و شهادت قرار داده است. همچنین این پژوهش نشان می‌دهد که شاعر به‌کارکرد زیباشناختی بسنده نمی‌کند، بلکه از مرزهای زیباشناختی خود فراتر رفته تا نقش اجتماعی‌اش را در سلب مشروعیت از سرکوبگران و صاحبان قدرت ایفا نماید. نتایج پژوهش نشان می‌دهد که شاعر در گفتمان خود به موضوعاتی چون عدالت، آزادی، برابری، بیداری، از خود گذشتگی و طلب شهادت، و امید به پیروزی، مشروعیت بخشیده و از موضوعاتی مانند فساد سیاسی و اقتصادی و سکوت در مقابل ظلم، مشروعیت‌زدایی نموده است. بر این اساس، شاعر در شعر خویش از تکنیک‌های متعددی چون رل مدل یا الگو و اسطوره‌سازی، پیش‌گویی، تعریف و تبیین، ارزش‌گذاری اخلاقی، قیاس، تأثیرگرایی و تکنیک معطوف به هدف، استفاده نموده است.

کلمات کلیدی: تحلیل گفتمان، ون لیوون، مشروعیت بخشی، مشروعیت زدائی، حسن توفیق.